آراء علماء اللغة العربية حول الاستشهاد بالأدب

الدكتور/ أحمد عثمان فضيل حسن*

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأدب العربي كمصدر من مصادر اللغة العربية متناولاً أراء علماء اللغة حول الاستشهاد به، واستخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي والاستدلالي، وقد توصل البحث إلى نتائج أهمها:

١- يعد الأدب العربي من التفصيل فيه في هذه الدراسة واحداً من مصادر اللغة العربية وفق أراء علماء اللغة والنحاة.

٢- قسم اللغويون الشعراء إلي طبقات وفقاً لفصاحة شعرهم.

٣- نتج عن تقسيم اللغويين للشعراء إلى ثلاثة طبقات تجاه الاستشهاد بشعرهم الطبقات التالية:

أ- الطبقة الأولي والثانية يستشهد بآدابها لتوافر شروط الاستشهاد.

ب-الطبقة الثالثة: فالصحيح والأوفق الاستشهاد بأدبها.

ت-الطبقة الرابعة: فالصحيح انه لا يستشهد بكلامها مطلقاً.

٤- خلط علماء اللغة بين الشواهد الشعرية والشواهد النثرية.

٥- الأدب اضعف المصادر لما فيه من نماذج شعرية مجهول قائليها.

من أهم التوصيات التي توصي بها الدراسة:

١- تتبع ودراسة مزيد من الشواهد الشعرية والنثرية دراسة تفصيلية.

٢- دراسة كل طبقة من طبقات الشعراء منفصلة متكاملة.

٣- التدقيق في البحث عن النماذج الشعرية المجهول قائليها.

* جامعة الإمام المهدي – كلية الآداب

Abstract

This research aims to study Arabic literature as a source of Arabic language, addressing the opinions of linguists about citation from literature. The search used the descriptive, analytical, inductive and deductive methods. The most important results are:

1- From the details in this study, Arabic literature is considered as one of the sources of Arabic language in accordance with the opinions of linguists and grammarians.

2- Linguists divided poets into layers according to the eloquence of their poetry.

3- The division of linguists to the poets into layers according to the citation from their poetry has resulted the followings:

A- The first and second layer can be cited by its literature because of the availability of citation conditions.

B- The third layer: It is right and more appropriate to cite from its literature.

C- Poets of the fourth layer: It is right not to cite from their words at all.

4- Linguists had a confusion between poetic evidences and prose evidences.

5- Literature is the weakest source because of its poetic models with unknown poets.

From the most important recommendations of the study are:

1- Tracing and studying more poetry and prose evidences through a detailed study.

2- Study each layer of the poets separately and in an integrated way.

3- Scrutiny in searching for the unknown poetic forms.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علي أفصح الناس اجمع سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم لعل أبرز ظاهرة تتصل بقضية النصوص المحتج بها في الكتب العربية هي اعتماد علماء اللغة والنحاة اعتماداً أساسياً علي الأدب ليكون واحداً من مصادر اللغة العربية في دراسات أهل اللغة والنحاة والأوائل والمتأخرين ويعد ذلك – إذا نظرنا إليه في ضوء ظروف العصر – شيئاً طبيعياً يتلاءم مع طبيعة العربي وما تتوق إليه نفسه. فالذي دفع أهل اللغة والنحاة إلي هذا الاتجاه نحو الأدب أمور منها المنزلة الكبيرة التي كان يتمتع بها الأدب في نفوس العرب الأولين، فهم يحفظونه ويدرسونه بينهم، ويعتبرونه مصدر فخر وسر ومهابة، وهو ديوانهم الذي إليه يرجعون، وسجل حياتهم الذي به يتباهون. وحين جاء الإسلام لم تهتز منزلة الأدب في نفوس العرب، فقد جعلوه حجة فيما أشكل من قريب كتاب الله جل ثناؤه، وغريب حديث الرسول صلي الله عليه وسلم وحديث صحابته والتابعين.

وأول رواية تاريخية وردت عن الاستشهاد بالشعر في تفسير مفردات القران الكريم وتوضيحها تمثلت تساؤلات نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه، فقد روي انه كان يسأل عن القران فينشد فيه الشعر. سئل عن الزنيم فقال: هو الدعيً الملصق، ألم تسمع إلى قول الشاعر:

زنيم تداعاه الرجال زيارة كما زيد في عرض الأديم الأكارع

فهذا يدل علي اهتمام العرب بالأدب العربي في مسيرة حياتها.عليه جاءت هذه الرسالة لتأكد أن الأدب هو واحد من مصادر اللغة العربية

مفهوم الأدب والشعر

بما أن هذا البحث يصنف تحت علوم اللغة أو الأدب فما عليَ إذا بدأت بتعريف مفهوم الأدب والذي منه يتجزأ الشعر.

فقال الزمخشري: " أدب هو من أدب الناس وقد أدب فلان وأدب تقول: الأدب مأدبة ما لأحد فيها مأدبة،وأدبهم على الأمر جمعهم علية بأدبهم.يقال أيدب جيرانك لتشاورهم

قال الشاعر:

وكيف قتالي معشراً يأدبونكم على الحقً لا تأشبوه بباطل (١)

وتقول: أدبهم عليه، وندبهم إليه

ومن المجاز: جاش أدب البحر، إذا أكثر ماؤه.(٢)

وقال صاحب أدب الصحبة:

الهمزة والدال والباء: أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه – فالأدب أن تجمع الناس علي طعامك. وهي مأدبة والمأدبة، المآدب: جمع مأدبة ومن هذا القياس الأدب لأنه مجمع علي استحسانه، ومن حديث سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه "(إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته)(٣) وتأويله انه يشبه القرآن بصنيع صنعة الله تعالى للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه.

ومن قال: مأدبة جعله مقفلة من الأدب

١- تأشبوه: تخلطوه

٢- شهاب الدين محمد احمد بن منصور، المتطرف في كل متظرف، د.أسعد حسن محمد، ص٧

٣- الزمخشري، أساس البلاغة،مكتبة لبنان، الطبعة الأولي ١٩٩٦،ص٤

الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يؤدب الناس الذين يتعلمون

إلي المحامد، وينهاهم عن المقابح: إي يدعوهم. واصل الأدب: الدعاء والأدب ملكة تعصم من كانت فيه عما يشينه، الجمع آداب.ومن معانيها أنها تطلق على ما يليق بالشيء أو الشخص فيقال آداب الشخص و القاضي والأدب الظرف وحسن التناول.

ويشرح العلامة المناوي – قول صلي الله عليه وسلم (أدبني ربي فأحسن تأديبي) فيقول: معني الأدب هو ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة. وفي شرح النوابغ هو ما يؤدب بالناس إلي المحامد.

فالشعر واحد من فرع الأدب كان رائد الحسن بدليل شهرته وكثرته وارتياح عقلاء السلف إليه. حتى إن النبي صلي الله عليه وسلم – كان يستشهد الشعراء رجالاً ونساء ؛ يستشهد الخنساء – السيدة تماضر بنت الشديد، فإذا رأى بعض الفتور قال: هيه يا خنُاسُ طلباً للمزيد، يبعث من نشاطها، أثاب علي الشعر مراراً وسن علي الإجازة. وقال: (إن من الشعر لحكمة)(٤)

كما عرفة سيد قطب في كتابه(النقد الأدبي أصول ومناهجه) فقال: وهو التعبير عن تجربة شعورية بصورة موحية) (٥).

فمن خلال التفصيل عن مفهوم الأدب نستخلص إن مفهوم الأدب الأوفق أن نعرفه تعريفاً دقيقاً فنقول: كلمة أدب من الكلمات التي تطورت إلي إن

٤- شهاب الدين محمد بن احمد،المستطرف في فن مستظرف، ص٨

٥- سيد قطب،النقد الأدبي أصوله ومناهجه،ط٧١٩٩٣،دار الشروق،ص٩

صارت الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلي التأثير في عواطف القراء والسامعين من كلام البشر شعراً كان أم نثراً.

الأدب:

وعرفه ابن خلدون في مقدمته(هو الإجادة في فني المنظوم والمنثور، علي أساليب العرب ومناحيهم من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو... ثم إنهم ‘أذا أرادوا تعريف هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف ؛ يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث مصادرها فقط وهي القرآن والحديث ([٦]) .

أما الشعر فقال ابن زيدون عنه:

اعلم أن لسان العرب وكلامهم علي فنين في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها علي روى واحد وهو القافية. وفي النثر وهو الكلام غير الموزون، وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام ([٧])

أما مفهوم الشعر في اللغة والاصطلاح:

يستعمل لفظ الشعر يراد به الكلام الموزون المقفى، ولاشك أن هذا هو المعني المتسالم علي صحته منذ عدة قرون من السنين. غير أن الأصل في ذلك هو أن هذا الكلام هو النظم، حيث يقال: نظمت الشعر ونظمت الخرز إي جمعتهما في المسلك، يراد به ترتيب الكلام طبقاً للوزن والقافية والنظام والتنظيم والتأليف والترتيب.فإن ألف بين الكلمات ورتبها فقد

٦- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة بن خلدون، تحقيق حامد احمد الطاهر، ص٧-٩

٧- المصدر نفسه، ص ٧٢٤

نظمها. ومن هنا أطلق علي كتابة الكتب وعلي كتابة الشعر أيضا في اللغة الحديث([٨])

فالشعر هو من الشعور وهو الإحساس.يقال: شعرت واستشعرت به إذا أحسست به .وكل كلام يعبر عن الشعور والأحاسيس النفسية أو يكون سبباً لإثارتها فهو شعر.سواء كان منظوماً أو منثوراً.ومن هنا قالوا: الشعر المنثور.فأنه شعر من زاوية كونه ممثلاً للشعور والأحاسيس وكما نعلم أننا لماذا نقول: نظمت الشعر. أي أني أخذت الكلام المعبر عن الأحاسيس والشعور خلعته منظوماً يعني موزوناً ومقفى. فأصبح الكلام متصفاً بكلا الناحيتين اعني الوزن والأحاسيس معاً ومن هنا يمكننا أن نلتفت أن بيت مفهوم النظم ومفهوم الشعر نسبة العموم ومن وجه، من حيث أن المورد يمكن تقسيمه إلي أربعة أقسام:

القسم الأول:ما يكون منظوماً يعني موزوناً ومقفى، مع كونه معبر عن الأحاسيس والشعور النفسي فهو المنظم ومن أمثلته:

لأعذب الله أمي أنها شربت حسب الوحي وأرضعته لي في اللبن

وكان لي ولدا يهوي أبا حسن فصرت من ذي وذا اهوي أبا حسن

القسم الثاني: ما يكون منظوماً بالوزن والقافية، إلا انه لا يعبر عن الأحاسيس بل عن بعض الجهات العلمية ونحوها، والتاريخ والنحو أو غيرهما.وهو النظم وليس شعراً لفقدانه جانب الشعور، وان سميناه شعراً إلا أن هذا الاستعمال مجازاً في الأصل. وإن أصبح حقيقة بعد ذلك. ومن أمثلته:

---

[٨]- الزمخشرى، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص ٥

مثال قول ابن مالك في الفتيه في النحو:

كلامنا لفظ مفيد كأستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم

القسم الثالث: ما كان معبراً عن الأحاسيس من دون نظم وقافية. وهو الشعر المنثور أو النص الأدبي ونحوه وهو ليس في مصطلح الناس بشعر إلا انه في اللغة الأصلية كذلك – ومن أمثلته:

إن قلب الحبيب ينبض في صدري سبحان الله كأنه قلبي لا قلب حبيبي

القسم الرابع: ما كان فاقداً لكلا الجهتين يعني الإحساس والوزن. وهو كل كلام اعتباري بليغاً كان أو اعتبارياً.ومن أمثلة هذا الكلام الذي تقرأه.

خلاصة القول نعرف أن الاستعمال الأعمق للشعر يتبع الشعور سواء كان منظوماً آم لا والاستعمال الأعمق للنظم يتبع الوزن والقافية سواء كان فيه شعوراً أم لا، إلا أن الاستعمال الغالب للشعر هو في النظم عموماً وإن كان لا يخلو من تسامح علي كل حال.

قال ابن منظور في لسان العرب: والشعر منظوم القول.([٩]) غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية.وإن كان كل علم شعراً، من حيث غلب علي الفقه الشرع علي علم الشرع والعود علي المندل. والنجم علي الثريا ومثل ذلك كثير.

وربما سموا البيت الواحد شعراً حكاه الأخفش، قال بن سيدة: وهذا ليس بقوي إلا انه يكون علي تسمية الجزء باسم الكل كقولك الماء جزء من الهواء لنظافته من الهواء والأرض للقطعة من الأرض.

٩- بن خلدون، لسان العرب، مادة شعر.

قال الأزهري:الشعر القريض المحدود بعلامات لا يتجاوزها والجمع أشعار، وقائله شاعر، لأنه يشعر ما لا يشعره غيره، إي يعلم ورجل شاعر والجمع شعراء. وقال أيضا والقريض الشعر، وهو الاسم كالقصيد والتعريض صناعته –ولم يبن ابن منظور سبب تسميته بالقريض فكأنه من المشترك اللفظي.

والشعر أيضا اصطلاحاً في علم المنطق باعتباره احدي الصناعات الخمس هنالك. وهي صناعة البرهان، وصناعة الخطابة، وصناعة المغالطة وصناعة الجدل، وصناعة الشعر، وصناعة ليس شعراً بالمعني المفهوم، وإنما سميت بذلك لكونه مكوناً من مقدمات وقضيا مثيرة للعاطفة والشعور. كالحزن والفرح، والغضب والرضاء وغيرها.

الشعر وطبقات الشعراء عند علماء اللغة

لاقي الشعر اهتماماً كبيراً من اللغويين واعتبروه الدعامة الأولى لهم حتى لقد تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد وأصبحت مقصودة علي الشعر فقط.ولذلك لا نجد كتب الشواهد لا تحوي غير الشعر ولا تهتم بما عداه.

وقد كان اللغويون يستشهدون بالشعر المجهول قائله إن صدر عن ثقة يعتمد عليه ولذا اعتبروا الأبيات التي وردت في كتاب سيبويه اصح شواهد اعتمد عليها خلف بعد سلف مع أن فيها أبياتا عديدة جهل قائلوها.([١٠])

وقد كان سيبويه يحرص علي أطلاق البيت من النسبة فكان إذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمة وإنما امتنع سيبويه عن تسمية الشعراء (لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعض الشعر يروي لشاعرين وبعضه مجهول لا يعرف قائله لأنه قدم العهد به). وإنما الأبيات المنسوبة في كتاب إلي قائلها (فالبينة حادثة بعده، اعتني بنسبتها الجرمي. قال الجرمي: (نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً فأما الألف فعرفت أسماء قائليها فأثبتها، وأما خمسون فلم اعرف أسماء قائليها) ([١١]).

بل أن اللغويين والنحاة قد صرموا بان تعدد الروايات في البيت الواحد لا يسقط حجتها وان كل رواية – ما دامت قد نقلت عن ثقة – يصح الاستشهاد بها. يقول ابن ولاد: (الرواة عن الفرزدق وغيره من الشعراء قد تغير البيت علي نفقتها وتروية علي مذاهبها مما يوافق لغة الشاعر ويخالفها لذلك كثرت الروايات في البيت الواحد...

ولغة الرواة من العرب شاهد، كما أن قول الشاعر شاهد)، ويقول: ((مجيء الروايات في البيت الواحد يجعل كل راوية حجة إذا رواه فصيح،

١٠- البغدادي، خزانه الأدب، ط، بولاق،ج١، ص١٧٨

١١- المصدر نفسه، ص ٧٨

لأنه يغير البيت إلي ما في لغته، فيجعل ذلك أهل العربية حجة)) ([١٢]) وحديثنا عن الشاهد الشعري يجرنا إلي الحديث عن قضية (الضرورة الشعرية) أو ما يسمى (بضرورة الشعر) حينما يحاول اللغوي أو النحوي أن يستبعد البيت من مجال الاستشهاد فما حد هذه الضرورة ؟ ومتي يكون الشاعر مضطراً اضطراراً يسقط حجية الاستشهاد والبينة؟ الإجابة عن هذين السؤالين سنورد أراء النحاة في ذلك. لقد اختلف النحاة في ذلك إلي فريقين: ففريق يرى- وهو جمهورهم أن الضرورة هي (ما وقع في الشعر مما يقع في النثر سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا) ([١٣]).

ومذهب ابن مالك – وهو الصحيح عن سيبويه- إنها(ما ليس للشاعر مندوحة عنه) ([١٤])

ويبين اثر هذا الخلاف فيما جاء في الشعر عليه (ولذلك أجاز وصل أل بالمضارع قليلاً، ولم يجعل ضرورة استدلالاً بقوله:

ما أنت بالحكم الترضي حكومته

حيث نجد أن الشاهد في (الترضي) تمكنه من أن يقول (المرضي حكومته) ([١٥])

وحيث لم يقل ذلك مع الاستطاعة، ففي ذلك، أشعار بالاختيار وعدم الاضطرار)([١٦])

١٢- ابن ولاد، الانتصار، ص١٩

١٣- ابن الطيب الفارسي، الفصيح دار الكتب المصرية، ١٧٩لغة، ص١٩ وانظر،الضرائر الالوس،ص٦

١٤- ابن الطيب الفارسي، موطئه الفصيح، ص٢٠ -

١٥- مرجع نفسه، ص٢١

١٦- البغدادي، خزانه الأدب ج ١، ص١٥

وكأني بالصحاب المذهب الأول قد وسعوا في مدلول الضرورة وأطلقوها دون قيد لتكون سيفاً معلناً، وسلاماً يشهرونه في وجه كل بيت يخالف قواعدهم ويعجزون تخريجه فيجدون المخلص في هذا الوصف السهل يلقونه دون النظر أو التفكير. وكان ذلك لم يكفلهم فرموا بعض الأبيات بالضرورة، لا فراراً من الإخلال بالوزن أو القافية، بل فراراً من الزحاف، وهو ما تأباه النظرة الفاحصة المتأنية.

ولهذا نجد أبا العلاء المعرى في كثير من كتبه ـ وقد كان ذا نظرة تحررية . يهاجم وينصر مذهب الأقلية ، ولا يترك فرصة للذود عنه والانتصار له إلا انتهزها فهو يرى أن الزحاف لا يحمل الشاعر على ارتكاب ضرورة، فهو كثير في الشعر، وبخاصة في بعض الأوزان وهو يرى أن من الأبيات الشعرية ما يختل وزنها إن غيرت، فهذه هي محل الضرورة، ومنها ما لا يكون تغيرها ضحلا بالنظم، فهي كالنثر لا يصح أن يقال عنها أنها ضرورة ولهذا فهو يقول في رسالة الملائكة: ((ينشد قول أبي ذؤيب الهذلي:

تركوا هوى واعنقوا لهواهم .... فتخرموا ولكل جنب مصرع

ولو أنشد ((هواي)) لم يكن بالوزن بأس. والاستشهاد بالشعر على نوعين أحدهما: لامزيه فيه للمنظوم على المنثور، والآخر: يكون حكم الموزون فيه غير حكم النثر. فالضرب الأول كبيت أبي ذؤيب أعلاه.

وكقول الآخر:

أنا ابن النحارك البكري بشر عليه الطير ترقبه وقوعا

فخفض ((بشر)) ونصبه لا فضيلة فيه للوزن ،وكذلك خفض ((البكري)) ونصبه لأنه قويم في الحالين، والضرب الآخر هو الذي يكون الوزن إن غيرهما استشهد به عليه إخلال كقوله:

ألا مبلـغ الحـرين ،،، مغلغلة وخص بها أبيا

يطوّف بي عكب في معد ،،، ويطعن بالعمله في قفيا

فهذا لا يمكن إلا على لغة من قال قفي))([١٧])

ويقول في موضع آخر: ((وأنشد القراء قول زهير)):

عليهن فرسان كرام لباسهم ،،،، سوابيغ زغف لا تخرقها نبل

فهذه زيادة بغير ضرورة ، لأنه لم يضر البيت ([١٨])

ويقول في بيت الهذلي:

أبيت على معاري فاخرات بهن ملوب كرم العياط

الذي يدعى النحاة أنه ضرورة يقول أبو العلاء: ((ولو قال معار فاخرات لم يخل بالبيت)) ([١٩]) فلن يكون فيه سوى تسكين لام ((مفاعلتن)) فأين هي الضرورة؟ وكأنما شعر النحاة بانهيار دعواهم أمام تلك الحجة القوية، فحاولوا أن يلتمسوا مخلصا لهم، فادعوا أن الشاعر ارتكب هذه الضرورة كراهة الزحاف ،فقال أبو العلاء مفندا تلك الحجة:

((وهذا قول ينتقض، لأن في هذه الطائية أبياتا كثيرة لا تخلو من زحاف. وكل قصيدة للعرب وغيرها على هذا القرىّ كقوله:

---

[١٧]- أبو العلاء المعرى ، رسالة الملائكة ،تحقيق سليم الجندي ، دمشق ١٩٤٤ ص ١٨١

[١٨]_ المصدر نفسه ص ٢٠٥.

[١٩] -- أبو العلاء المعرى ، رسالة الملائكة ، تحقيق سليم الجندي ، دمشق ١٩٤٤ ،ص ٢٠٥

فيه زحافات من هذا الجنس ، ثم يجئ في كل الأبيات إلا أن يندر شيء([٢٠]).

وكأنما حاول بعضهم أن يتعلل بأن هذا الزحاف . مع كثرته في شعرهم . قد يخل بموسيقى البيت، فرد عليه أبو العلاء بأن حركة الزحاف هذه لا تنفر منها الأذن ((ولا يشعر بها في الغريزة)) ([٢١])

وأيا ما كان الأمر فقد قسم اللغويون الشعراء إلى طبقات أربع ها:

١/ الشعراء الجاهلون . وهم قبل الإسلام

٢/ الشعراء المخضرمون . وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام

٣/ الشعراء الإسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الإسلامي، كجرير والفرزدق ، وآخرهم ابن هرمة. قال الأصمعي (ختم الشعر بابن هرمه) ([٢٢]) ، وقال أبو عبيدة:

(افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بابن هرمه)

٤/ المولدون، وهم من بعدهم إلى زماننا هذا كبشار وأبى نواس ([٢٣])

فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعا، وإن كان من بينهم بعض شعر طعن فيهم، كعدى بن زيد، وأبي داؤد والأيادي. وقال الأصمعي: (عدى بن زيد وأبو داؤد الأيادي لا تروى العرب أشعارهم لأن ألفاظها ليست نجديه). وقال المرزبانى (كان عدى بن زيد يسكن الحيرة، ويراكن الريف فلان لسانه وسهل منطقه)

٢٠- المصري رسالة الغفران، تحقيق سليم الجندي، دمشق،ص٢٠٥

٢١- أبو العلاء المعري،رسالة الملائكة،ص٢١٠

٢٢- السيوطي، الاقتراح في علم النحو، حيدر أياد،ة١٣١٠ه، دار الكتب المصري، ص٢٦ -

٢٣- ابن رشيق الغيرواني، العمدة، القاهرة، ص٥٦

أما الطبقة الثالثة فالصحيح جواز الاستشهاد بشعرها. وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبى اسحق والحسن البصري وعبد الله بن شبرمه يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وإضرابهم ،،، وكانوا يعدونهم من المولدين ([٢٤]). وقد كان الأصمعي ينكر أبرق الرجل وأرعد، فلما احتج عليه ببيت الكميت:

أبرق وأرعد يا زيد فما وعيدك لي بضائر

فلما احتج عليه ببيت الكميت هذا قال: ليس ببيت الكميت حجه، إنما هو مولد ([٢٥]). وقال الأصمعي: ((جلست إلى أبى عمرو بن العلاء ثماني حجج ،فما سمعته يحتج ببيت إسلامي)) ([٢٦]). ومع تحرى العلماء جانب الصواب ، ووضعهم شروطا المحدثين في رواة الحديث فقد دست عليهم بعض الأشعار ، فجاء في شواهدهم أبيات لم تسلم من الظنة. ومن ذلك استشهاد سيبويه بقول الشاعر:

جذر أمورا لا تخاف وآمن ما ليس منجيه من الأقدار

فهذا البيت مصنوع ومع ذلك رواه سيبويه في الكتاب ((ذكر أبو يحي الاحقي أن سيبويه سأله: هل تعدى العرب فعلا ؟ قال: فوضعت لهذا البيت).

وممن قال بوضعه كذلك الصفدى في نفوذ السهم (.ومن ذلك استشهاد الفارابي اللغوّي بقول أمرئ القيس:

وعمرو بن درماء الهمام إذا غدا ،، بذى شطب عضب كمشية قسورا

[٢٤] ـ الفارابي ، ديوان الأدب ، الجزء الثتني تحقيق ، اخمد مختار عمر ، ص ٣١٦

[٢٥] ـ ابن رشيق الغيرواني ، العمدة ، ص ٥٧

[٢٦] ـ على النجدي ناصف ، سيبويه أمام النحاة ، ١٩٥٣ م ، ص ١٤٦

على أنه أراد قسورة فحذف التاء ([٢٧])

وقد أنكر أبو العلاء المعرى هذا البيت ورأى انه مصنوع وعبر عن ذلك بطريقته الخاصة التي عرف بها في رسالة الغفران فأجرى حوارا بين صاحبه ابن القادح و أمرئ القيس جاء فيه ((وإنا لنروى لك بيتا ما هو في كل الروايات ' وأظنه مصنوعا لأن فيه ما لم تجر عادتك بمثله وهو قولك.... قسورا فيقول (امرئ القيس) أبعد الله الآخر ، لقد افترض فما ؟؟؟ وإن نسبه هذا إلىّ لأعده أحدى الوصمات ([٢٨]) أما الطبقة الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلاهما مطلقا، ومنهم من أباح الاستشهاد بكلام من يوثق به منهم ، ومن هؤلاء الزمخشري اللّغويّ والنحويّ المشهور الذي كان يرى الاحتجاج بشعر أبى تمام. ([٢٩])

وغيره من أئمة ورواتها ، ويقول ردا على من سأله كيف يستشهد في الكشاف بشعر لأبى تمام: (أجعل ما ينظمه بمنزلة ما يرويه).

يشير إلى مجموع أبى تمام المعروف باسم (ديوان الحماسة) والذي تلقاه العلماء بقبول والثقة. وإذا كان الزمخشري يصرح بثقته في شعر أبى تمام وإضرابه ولذا فهو يستشهد به، فهناك من الّغويين من استشهد في استخفاء بشعراء من هذه الطبقة. ومن هؤلاء الخليل بن أحمد الذي استشهد في (العين) بحفص الأموي وبشار بن برد ([٣٠]) ونسب إلى سيبويه أنه استشهد في كتابه ببيت بشار بعد أن توعده بالهجاء.

(وأصحاب بشار يروون له هذا البيت:

وما كل ذي لب بمؤتيك '''' وما كل مؤت نصحه لبيب

---

[٢٧] ــ البغدادى ، الخزانة ج ، ص ٣

[٢٨] ــ أبو العلاء المعرى ، رسالة الغفران، ص ٢٣

[٢٩] ــ الزمخشرى الكشاف. أيه ((وإذا اظلم عليهم قاموا)) سورة البقرة الايه ٢٠

[٣٠] ــ حسين نصار ، المعجم العربي ، دار مصر بالفجاله ، ج١ ، ص ٢٤١

وفى كتاب سيبويه نصف هذا البيت الآخر ، وهو في باب الإدغام لم يسم قائله) ([٣١])

وفى العصر الحديث ارتفعت أصوات تنادى بإباحة الاستشهاد بالأدباء والشعراء المشهورين حتى وقتنا الحاضر ، بشرط موت الشاعر لأن المعاصرة حجاب كما يقولون وبشرط آن يكون الشاعر أو الأديب لا يعد من زعماء البيان إلا إذا صحت لغته واستقام لسانه.

ولن يتم له ذلك إلا إن جرى على النمط العربي السليم ، وحتى فعل ذلك فقد صار عربيا بلغته ، وتماثلت اللغتان بل تطابقتا وبهذا فهو لم يخلق شيئا لم يعرفه العرب ولم يأت بجديد بالإضافة إلى أن مؤهلات الزعامة لا ضابط لها ، وقد تفتح بابا لدخول كل طامح. ولكننا نجد من أصحاب هذا الرأي من يقولون قد ورد في شعر بعض المعاصرين ما لم يرد في شعر القدماء مثل شوقي الذي يقول:

ولي بين الضلوع دم ولحم ،،،، هما الواهي الذي ثكل الشبابا

حيث أخير عن المثنى بالمفرد ، ومثل قوله أيضا:

أن عزا لم يظلل في غد ،،،، بجناحيك ذليل مشباح

حيث نفى بلم المستقبل بدليل قوله (في غد) و (لم) لنفى الماضي ([٣٢])

الآراء في تقسيم الشواهد

(أ) الشواهد المختلف في نسبتها:

هناك قسم كبير في الشواهد الشعرية اختلف النحاة في نسبتها إلى أصحابها، وهذا يرجع إلى نسبة الأبيات لقائليها قد جاءت متأخرة نوعا ما عن الجهود الأولى في استقراء اللغة ، فقصرت الوسائل التي بين أيدي

[٣١] ـــ السيوطي ، الاقتراح ، ص ٢٦

[٣٢] ـــ عباس حسن ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، القاهرة ، ص٢٦

العلماء عن نسبة بعض الشواهد نسبة حاسمه إلى قائليها، فتعدت فيها الأقوال، ولم يثر ذلك لديهم مدخلا للطعن في هذه الشواهد ما دامت تلك الآراء المتعددة لنسبة الشاهد الواحد تنتهي في مجموعها إلى العصر الموثق وما نقل عنه من الشعراء والأعراب ([٣٣])

ونذكر مثال يوضح هذه الظاهرة وهو قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ،،،، عندك راض والرأي مختلف

فقد نسبه سيبويه إلى قيس بن الخطيم ([٣٤])، كذلك نسبه الأعلم الشنتمري([٣٥]) والعيني ([٣٦])وخالفهم بعض العلماء فنسبوه إلى عمرو بن امرئ القيس، منهم ابن هشام اللخمى وابن برى ([٣٧]). والجاحظ ([٣٨])، أما أبو البركات الأنباري فنسبه إلى درهم أبن زيد الأنصاري ([٣٩]) واستشهد به ابن هشام ([٤٠])، وابن عقيلة ([٤١])، دونما نسبه إلى قائل معين وغير هذا الشاهد كثرة كأثرة يمكننا أن نذكر منها على سبيل المثال قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ،،، عار عليك إذا فعلت عظيم

٣٣ـ محمد عبده، الرواية والاستشهاد باللغة /٢٠٠،

[٣٤] ــ سيبويه الكتاب، الجزء الأول، ص ٣٧ وأنظر تحصيل عين الذهب للأعلم الشنتمرى، ج١ ، ص ٣٨.

[٣٥] ــ الشنتمرى، تحصيل عين الذهب، ص ٣٩

[٣٦] ـ العيني المقاصد النحوية، الجزء الأول، ص ٥٥٧ ، خزانة الأدب بولاق ١٢٩٩هـ

[٣٧] ــ السابق

[٣٨] ــ الجاحظ ، البيان والتبيين، الجزء الثالث، تحقيق حسن السندوبى ط٢ القاهرة ١٩٣٢، ص ٩٦

[٣٩] ــ ابن الأنبارى ، الإنصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ،ط٢ سنه ١٩٥٣، ص ٦٥

[٤٠] ــابن هشام ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، الجزء الثاني، القاهرة ١٣٥٦هـ ، ص ١٦٤

[٤١] ـ أنظر الكتاب ، ص٤٢٤ ، والغراء معانا القرآن ٤٠٨/١ ، وشرح شزور الذهب ٢٣٨ وشرح ابن عقيل ص ٣٨٧

الذي يستشهد به على نصب المضارع بأن ؟؟؟وجوبا بعد واو ألمعيه الواقعة في جواب النهى ([٤٢].)

وقول آخر:

هذا . لعمركم . الصغار بعينه ،،، لا أم لي . إن كان ذلك ولا أب

الذي يستشهد به على رفع النكرة المفردة المتكررة مع (لا) بعد عاطف([٤٣]).

وتعدد نسبة الشواهد ليست مسؤولية النحاة بقدر ما هو مسؤولية الرواية والرواة. فقد كانت العصبية القبلية ([٤٤]). كما كان للشافهة تأثير كبير في الاختلاف في نسبة الشاهد. وساعد على ذلك تشابه أسماء عدد من الشعراء، كمن سمى بامرئ القيس والأعشى ونصيب ([٤٥]) حتى الأمرى يقول:

ولسنا نقصد إلى تعديد من اسمه الحصين من الشعراء لكثرتهم([٤٦]).

لما كان التصحيف أحد أسباب الاختلاف. فربما يتغير اسم الشاعر بفعل التصحيف كما روى عن اختلافهم في اسم شاعر قديم ورد اسمه في شعر امرئ القيس ودرس شعره، فرواه الأصمعي: خذام، ورواه أبو عبيده: جذام، ورواه راوٍ أخر: حذام ([٤٧])

---

[٤٢] ـانظر سيبويه الكتاب ، الجزء الأول. ص٤٢٤

[٤٣] ـ أنظر سيبويه ، الكتاب ، الجزء الأول ، ص٣٥٢ ، ثم أنظر ابن عقيل ألفيته ، ص ١٤٨.

[٤٤] ـ انظر ، المبرر ، الكامل ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣٦٥هـ ، ص ٢٢

٤٥- الرواية والاستشهاد:ص١٦٩.

٤٦- انظر السيوطي، الاقتراح، ص٢٧.

٤٧- انظر والشواهد والاستشهاد في النحو،ص٤٦.

من خلال هذا التفصيل بالنظر للأمثلة المذكورة توضح هذه الأسباب وغيرها اختلط بعض الشعر على العلماء، فأخطأ في نسبته لأصحابه، وتبعهم في ذلك النحاة مما مثل نقطة ضعف في شواهدهم الشعرية.

(ب) الشواهد المجهولة القائل:

لا يكاد كتاب من كتب النحو كبيرا كان أم صغيرا يخلو من مجموعة من الأبيات غير معلومة القائل ، ويكفى أن في كتاب سيبويه . أشهر كتب النحو على الإطلاق وأهمها في نظر جميع الدارسين . بعض الشواهد التي لم تنسب إلى قائليها، وفعل سيبويه هذا يدل على (انصراف الدارسين في البداية عن نسبه الشواهد لقائليها ، إما الاهتمام أصلا لذلك، فتضائل بجانب ذلك الاهتمام بالمسائل الجانبية ، ومنها نسبة الشواهد لقائليها) ([٤٨])

وعلى الرغم من تقرير كثير من النحاة أنه (لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله وكأن عليه ذلك خوف أن يكون لمولد ، أو لا يوثق بفصاحته([٤٩]). فإن هذه النظرية لم تكن ذات تأثير كبير فئ طريقه استخدامهم للشواهد، فبفحص بعض الكتب النحوية وجد أنها تضم بين دفتيها كثيرا من الشواهد المجهولة، فبين شواهد الزمخشري في المفصل اثنان وأربعون شاهدا دونما نسبه، وبين شواهد ابن هشام فئ المغنى ثمانية وثمانون ومائة شاهد لم يعرف قائلها، وفى شواهد ابن عقيل تسعه وتسعون شاهدا مجهول قائلها ([٥٠]) ولعل السبب فئ جهل قائلي هذه

٤٨- الرواية والاستشهاد،٢٠٠.
٤٩- الرواية والاستشهاد،٢٠٠.
٥٠- انظر سيبويه، الكتاب الجزء الأول، ص٣٤، وتحصيل عين الذهب.

الشواهد . بالإضافة إلى سبق من تعليلات فئ الشواهد المتعددة النسبة. يرجع إلى أن أكثر هذه الشواهد كانت في الأصل أبياتا مفردة، أو في مقطوعات لشعراء مغمورين لم يشتهروا بالشعر ويعرفوا به، فأهمل الرواة ذكرهم، فدرست أسمائهم وغطى على ذكرهم مرور الزمن. ([٥١])

المهم من خلال التفصيل عن الشواهد المجهولة يتضح أن استخدام الشواهد غير المنسوبة كان عرفا سائدا لدى النحاة مع اعترافهم ومعرفتهم بخطأ ذلك ([٥٢]).

وهذان الاحتمالان ذكرهما السيوطي صراحة في الاقتراح:(كثيراً ما تري في الأبيات علي أوجه مختلفة،وربما يكون الشاهد في بعض دون بعض.وقد سئلت عن ذلك قديماً فأجبت باحتمال أن يكون الشاعر انشده مرة هكذا ومرة هكذا.ثم رأيت ابن هشام قال: في شرح الشواهد:روى قوله(ولا ارض أبقل أبقالها) بالتذكير، والتأنيث مع نقل الهمزة.فان صح آن القائل بالتأنيث هو القائل بالتذكير صح الاستشهاد به من غير ضرورة وإلا فقد كان العرب ينشد بعضهم شعر بعض،وكل يتكلم علي مقتضي سجيته التي فطر عليها، ومن هنا كثة الروايات في الأبيات.([٥٣])

ويضاف إلي الاحتمالين السابقين احتمال ثالث هو أن ذلك التغيير ربما كان من صنيع الدارسين تأييدا للقواعد، فقد جاء عن الشاعر بصورة

٥١- المصدر نفسه، ص٤٨.

[٥٢] ـ انظر سيبويه ، الكتاب ، الجزء الأول ، ص ٣٤ ، وتحصيل عين الذهب

٥٣- السيوطي، الاقتراح، ص٢٩.

واحدة،وكذلك رواه الرواة غير أن الدارين غيروه تأييدا للقواعد ونصرة للآراء([٥٤])

وسيستأنس لذلك يقول الخليل(أن النحارير منهم ربما ادخلوا علي الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس و التعند([٥٥]) وقول المبرد (وحدثني المازني، قال: سمعت العرب تقول:(لو غيرت ذات سوار لطمني). ويقول النحويون(لطمني)، فأخذت (غير) قول النحويين وتركت قول العرب) ويروى أن ابن دريد سأل أبا حاتم عن سبب جزم المضارع بعد (لو) في قول ابن هرمة

ماذا بمنبج لو تمبش مقابرها من التهدم بالمعروف والكرم

فقال له: لكراهة كثيرة الحركات عند قوم من النحويين. ولو قال لو نبشت مقابرها، استراح من (تنبش) وكان كلاهما فصيحا. كما اخذ على ابن حمزة البصري على المبرد تفسيره الرواية في ثلاثة أبيات استشهد. بها على قصر الممدود، وقال (وهذا من فصل أبي العباس غير مستنكر، لأنه ربما ركب هذا المذهب الذي يخالف فيه أهل القرية، واحتاج إلي نصرته، فغير له الشعر واحتج به ([٥٦]).

(ج) الشواهد ذات الوجود المتعددة:-

حدث اختلاف في رواية قسم كبير من الشواهد،فروي البيت بروايات متعددة لا يهمنا منها إلا ذلك الذي يمس موضع الاستشهاد،فقد يشهد بالبيت – في رواية–علي قادة معينه فإذا ما نظرنا إلي الرواية الأخرى

٥٤- انظر ، الراوية والاستشهاد ص٢٠٤

٥٥- الخليل ابن احمد الفراهيدي،العين، الجزء الأول، ص٥٩.

٥٦- الفاضل ،٤٣ والمعني كما قال المحقق: أن رواية النحاة أخذت وترك قول العرب لأجلها.

ترتب عليها عدم الاستشهاد به، وعدم جواز القاعدة التي بنيت عليه. مثال ذلك أن سيبويه استشهد تحت عنوان (هذا باب ما تجربه علي الموضع لا علي الاسم الذي قبله) يقول عقبية الأسري:

معاوي إننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

أديروها بني حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا

إذ عطف (الحديدا) بالنصب علي موضع (الجبال)لأنها خبر ليس، وهو منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد، فكأنه قال:لسنا الجبال ولا الحديد.([٥٧])

وقد ورد بعض اللغويين علي سيبويه رواية النصب وقالوا: إن البيت من قصيدة مجرورة معروفة،وبعده ما يدل ذلك وهو قوله:

أكلتم أرضنا فجردتمها فهل ممن قائم أو من حصيد

فقال الأعلم الشنتمري (وسيبويه غير منهم – رجمه الله فيما نقله رواية عن العرب، ويجوز أن يكون البيت من قصيدة منصوبة غير هذه المعروفة،أو يكون الذي انشد رده إلي لغته فقبله منه سبيويه منصوباً فيكون الاحتجاج بلغة المنشد لا يقول الشاعر.([٥٨])

البيت الذي إذن مرري بروايتي: رواية النصب ورواية الجر، والشاهد في الأول ولا في الثانية وقد ذكر الشنتمري سببين وجيهين لتعليل هذا التفكير.

أولهما:أن البيت من قصيدة منصوبة غير القصيدة المجرورة المعروفة، وليس ببعيد أن تكون للشاعر نفسه، وهو الذي قام بهذا التغيير، فرويت عنه القصيدة بحركتين مختلفتين.

٥٧- انظر سيبويه الكتاب، الكتاب الجزء الأول، ص٤٣ .

٥٨- -تحصيل عيني الذهب / الجزء الأول،ص٣٤.

وثانيهما: أن يكون البيت أصلا من قصيدة مجرور كما قال المعترضون، غير أن تناقل الرواة و المنشدين هو الذي انطلق به إلي النصب، فقبله سيبويه علي لغة المنشد لا علي لغة الشاعر.([٥٩])

وكل هذه الروايات تدل علي أن بعض النحويين يلجأون إلي تغير بعض المرويات لتحقيق لهم اطراد القاعدة يقول نولدكه: ففي كثير من المواضع قد يكون هناك مثالاً بحسب العادة الإعرابية لقبيلة ما – حالة إعرابية في الاسم أو الفعل مخالفة لما يعلمه النحاة وعندئذ تغير إلا إذا كانت في قافية البيت، غير أن مثل هذا التغير لا يمكن أن يكون كبيراً جداً([٦٠]) وإنا لنقول له: وقد حدث في قافية البيت أيضا وقد سبق لنا الدليل علي ذلك.

علي أية حال، تتعدد الروايات في الشاهد الواحد أمرا واقع في العربية، وهو لاشك عيب وضعف في هذه الشواهد، لكنه كثير من اللغويين – علي الرغم من ذلك – صرحوا بان ذلك لا يسقط حجية البيت وان كل رواية – مادامت قد نقلت عن ثقة – يصح الاستشهاد بها([٦١]).

د– **الشواهد المصنوعة:**

من بين الشواهد المصنوعة المتداولة في كتب النحو ما وضعه صاحبه وانشد علي انه من قول العرب الفصحاء، وسار في كتب النحو دون أن يعرف قائله أو واضعه واتخذه النحويون حجة لقاعدة أو دليلاً علي أسلوب. غير أن هذه الشواهد لم تعدم من اللغويين من يشير إلي

٥٩- شعبان، صلاح، علاقة النحاة بالقراءات القانية، ص٥٣.

٦٠- تيودور نولدكه،اللغات السامية، ترجمه، رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٧٥ .

٦١- احمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص٢٦ .

صناعتها، آو يرميها بالوضع، فضلاً عما يبدو علي بعضها من تفكك التركيب وتفاهة المعني، وذلك ما روي عن بعضهم:

فما وال ولاح ولا واس وأبو زيد

الذي قال عنه ابن خالويه: (أنه مصنوع خبيث الاحتوائية علي فعل (واح) من (ويح)، وما صرفت العرب فعلاً منه)([٦٢]) ومنه قول الرجز:

ومنهل ليس له حوازق ولضفادى مجه نقاثقُ

الذي قال عنه إلا علم الشتمري: (ويقال أنه مصنع لخلق الأحمر) ([٦٣]) ومما أورده سيبويه شاهد علي الجمع بين نون جمع المذكر السالم والضمير، وقال (وقد جاء في الشعر فزعموا أنه مصنوع) ([٦٤]) وقال الشاعر:

وهم القائلون الخير والفاعلونه أذا ما خشوا من محدث الأمر معظماً

وقول الآخر:

ولم يرتفق والناس محتضرونه جميعاً وأيدي المعتفين رواهقه

فالشواهد السابقة كلها مما فيه طعن النحاة بالصنعة أو الوضع، ومنها ما لا يقبله ذوق أدبي، ولاحس لغوي، إذ هو نوع من الرصف لكلمات دونما رابطة تجمعها والشعر ارقي من ذلك بكثير واسمي.فالبيتان الأولان يندبان علي نفسهما بالصنعة والوضع بلا مضمون شعري يساعد الباحث علي تقبلهما والركون إليها.

ولعلى من ما يساعد علي تسرب هذه الشواهد المصنوعة إلي ساحة النحو وجود شواهد كثيرة مجهولة النسبة، دون أن ينكرها النحاة أو

٦٢- ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القران الكريم القاهرة. ١٣٦٠هـ، ص١٧٩.
٦٣- تحصيل عين الذهب، الجزء الأول، ص٣٤٤.
٦٤- سيبويه، الكتاب، الجزء الأول، ص٩٦.

يرفضوها، مكتفين بصدق منشدها وثقتهم فيه، حتى كاد الاعتراف بأمثال هذه الشواهد يصبح عرفاً مقرراً بين الدارسين.

فقد يدرس بينهما شواهد مصنوعة أجيد سبكها، فلا يكاد اللغوي ينتبه لما فيها من وضع أو صفه مثل هذا الشاهد:

عليه اللؤم سرواله فليس يرق لمستعطف

الذي استشهد به علي أن (السراويل) عربي، وهو(سرواله) والسراولة قطعة خرقة وقال عنه البغدادي: (هذه البيت قيل مصنوع، وقيل قائله مجهول) ([٦٥]) ومثل قول القائل:

تساوى عنزي غير خمس دراهم

حيث ابرز الشاعر فيه الضمة علي الياء لضرورة الوزن، وقال عنه العيني:

(هذا البيت انشد الفراء ولم يذكر قائله، وقال عنه أبو حيان: لا يعرف قائله، بل لعله مصنوع)([٦٦]) وليس كل الوضع أو الصنعة في هذه الشواهد ومثلها يعود إلي الرواة والواضعين، فربما صنع النحوي البيت يؤيد به قائله يرتضيها، أو يشهد به علي مذهب يختاره، فقد قال سيبويه عن البيت التالي:

إذا ما الخبز تأدمه بحلم فذاك أمانةَ الله الثريدُ

إنه مما وضعه النحويين.([٦٧]) وقال ابن الناظم عن الشاهد التالي:

أيها السائل عنهم وعني لست من قيس ولا قيس مني

٦٥- البغدادي، خزانه الأدب، الجزء الأول، ص٢٣٣.

[٦٦]-انظر المقاصد النحوية، ج١،ص ٢٤٧

٦٧- سيبويه، الكتاب، الجزء الأول، ص٢٣٤ .

أنه من وضع بعض النحويين.([٦٨])

وقد كانت هذه الشواهد المصنوعة وبالاً علي اللغة العربية،إذ أن اغلبها (يتخذ سنداً لتأكيد الأداء والقواعد التي يغلب عليها التفرد عن الظواهر اللغوية العامة، ويترتب علي ذلك هزها ونقصها) ([٦٩]) ومع ذلك فهي واقع ملموس في كتب النحو لا يمكن تجاهله أو إنكاره.

وهنالك أيضا نوع من الشواهد حُرفَ خدمة للقاعدة فمن شواهد الكتاب قول الشاعر:

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشكر بالشر عند الله مثلان

الذي استشهد به علي حذف الفاء الرابطة لجواب الشرط الواقع جمله اسمية للضرورة.([٧٠])

فقد قال الأصمعي أن روايته الأصلية: من يفعل الخير فالرحمن يشكره، الرواية: من يفعل الحسنات الله يشكرها من صنع النحويين.([٧١])

هذا باختصار – بعض مظاهر الضعف في الشواهد الشعرية وهي صفات من الصعب تجاهلها عند الحكم علي هذه الشواهد، ولعلها ابرز مطعن يمكن أن يوجه إلي النحاة في هذا المجال.

يضاف إلي ذلك أن الاعتماد علي الشعر أصلا في تقعيد القواعد النحوية نوع من الخلط المنهجي،إذ أن المعروف للشعر أسلوبه الخاص في التعبير وطريقته المعينة في التركيب فهو لغة العاطفة والوجدان، يتدفق به الشاعر في إطار فني يختلف في كثير من مقوماته عن النثر. فضلاً عما

٦٨- ابن الناظم، شرح الألفية، ط، النجف ١٣٤٢ه، ص٢٧.

٦٩– انظر الرواية والاستشهاد باللغة، ص١١٢ .

٧٠– سيبويه، الكتاب، الجزء الأول، ص ٤٣٥.

٧١– أبوزيد الأنصاري، المورد في اللغة، ص٣١، وتعليق سعيد الشرنوي، بيروت ١٨٩٤م.

ستلزمه قيد الوزن والقافية ومراعاتها عند الشاعر من الخروج في بعض الأحيان عن مألوف اللغة في تركيب الجملة وطريقة نظم كلمات داخلها. كان يجب أن تكون القواعد المستنبطة من الشعر للشعر فقط دون أن نفكر في تحكميها في انثر، وان تحاول دراسة النثر في نصوصه الموثقة، لنعقد له هو أيضا. وبذا نفصل في التعقيد بين أسلوبين من أساليب البيان: الشعر بتدفقه وموسيقاه وعاطفته، النثر بعقلانيته وطرق تعبيره وبناء جمله.

الشواهد النثرية وأراء علماء اللغة حولها

تشمل الشواهد النثرية نوعين من المادة اللغوية:

أحداها: ما جاء في شكل خطبه أو وصية أو مثل حكمة أو نادرة . وهذا يعد من أدب العرب الهامة ويأخذ في الاستشهاد به مكانه الشعر وشروطه.

وأخراها: ما نقل عن بعض الأعراب ومن يستشهد بكلامهم في حديثهم العادي دون أن يتحقق له من التأليف والذيوع مثل ما تحقق للأول.

وقد وضع اللغويين شروطاً تشمل الزمان والمكان بالنسبة لهذا النوع من المادة أما من ناحية الزمان، فقد حددوا نهاية الفترة التي يشهد بها بأخر القرن الثاني الهجري بالنسبة لعرب الأمصار، وأخر القرن الرابع بالنسبة لعرب البادية([٧٢]) وأما المكان، فقد ربطوه بفكرة البداوة والحضارة، كانت فكلما كانت القبيلة بدوية أو اقرب إلي الحياة البداوة كانت لغتها أفصح،

٧٢- عباس حسن، انظر اللغة والنحويين بين القديم والحديث، والقاهرة، ص٢٤.

والثقة فيه أكثر، وكلما كانت متحضرة، أو اقرب الوي الحضارة كانت لغتها محل شك ومثار شبهه، ولذلك تجنبوا الأخذ عنها.

وفكرتهم في ذلك أن الانعزال في كبد الصحراء، وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ للغة نقاوتها ويصونها علي أي مؤثر خارجي، وان الاختلاط يفسد اللغة وينحرف بالا لسنه.وأمل من روي لنا محدودية بالقبائل التي يستشهد بها والتي يستشهد بها.

الفارابي يفي كتابه الألفاظ والحروف. وتعد هذه القائمة وثيقة هامه تناقلتها كتب اللغة المتأخرة مثل (شرح التسهيل) لأبي حيات و(المزهر) و(الاقتراح) للسيوطي. وهذه هو نص الوثيقة (كانت قريش أجود العرب انتقاء الأفصح من الألفاظ وأسهلها علي اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً، وأبينها أبانه عما في النفس.والذين نقلت عنهم اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخد اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قريش وتميم وأسد.أن هؤلاء هم الذين عنهم اخذ أكثرها اخذ ومعظمة ، وعليهم اتكل في الغريب والأعراب وفي التعريف.

ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.وبالجملة لم يؤخذ عن حضري قط،ولا عن سكان البراري ممن كان يكسن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من حزام لمجاورتهم أهل مصر والقبط. ولا من قضاعة وغسان وتغلب والنمر ([٧٣])

٧٣- السيوطي، في المزهر، ص ١١٧.

فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان.ولا بكر لمجاورتهم للنبط([٧٤])والفرس ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس. ولا من أهل اليمن لمخاطهم للهند والحبشة. ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من تثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ولا من حاضر الحجاز، لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين بدءوا ينقلون لغة العرب واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيروها علماء وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بيت أمصار العرب) ([٧٥])

وجاء ابن خلدون فأيد في مقدمته رأي الفارابي، واضح هذه الفكرة، وارتكز علي نفس الأساس السابق، وان نجد بعض فروق طفيفة في تحديد أسماء القبائل. يقول بن خلدون (الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن معناهم، وذلك لما اختصوا به من نكر العيش وشظف الأحوال.. فلا ينزع أليهم احد من الأمم فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم.. واعتبروا ذلك في مضر من قريش، وكنانه وتثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة، لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع، ويعدوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الإدم والحبوب وأما العرب الذين كانوا بالتلول، وفي إياد فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم ([٧٦])

٧٤- نفس المرجع: للضبط والتصحيح من الاقتران، ص١١٧.
٧٥- المصدر نفسه، ص٢١١.
٧٦- مقدمة ابن خلدون، ص١٢٩.

ويظهر أن هذه القائمة لم تكن محل إنفاق بين جميع اللغويين ويظهر كذلك أن البصريين كانوا أكثر تماسكاً بها من الكوفيين ولهذا كانوا يفتخرون بقولهم: نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب واكله اليرابيع وهؤلاء (يصنعون الكوفيين) اخذوا اللغة علي أهل السواد أصحاب الكواميخ واكله الشواريز.([٧٧])كما كانوا يتهمونهم بأنهم يأخذون اللغة عن غير الفصحاء، يقول أبو جعفر النحاس: (واحد الإناء أن لا يعرف البصريين غيره وحكي القراء واحد الإناء بها.. قد أنكرت عليه ورواها الأصمعي، ابن السكين، والمثقفون من أهل اللغة علي خلاف ما روي. والذي يقال في هذا انه مأمون علي ما رأوه غير سماع الكوفيين أكثر عن غير الفصحاء)([٧٨])

وممن لم يلتزمها من المتأخرين ابن مالك في مؤلفاته. قال السيوطي بعد أن نقل هذه القائمة (ونقل ذلك أبو حيان في شرح التسهيل معترضاً به علي ابن مالك حيث عني في كتبه بنقل لخم وخزاعة وقضاعة وغيرهم وقال: ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن) ([٧٩])كذلك كانت هذه القائمة محل نقد بعض المعاصرين، كما فعل الدكتور / مهدي المخزومي الذي يرى أن التفرقة بين القبائل خطأ منهجي ويشرع ذلك بقوله: (ولا نري ها إلا هذا لغو الكلام. أنهم يجهلون أن اللغة سليقة وطبيعة ويجهلون أن صاحب اللغة لا يغلط في لغته، لأنها جزء من حياته التي فطر عليها وعادة من عادته التي نشأ عليها. وإذا كان الجاهلون يغلطون، المخضرمون يغلطون، والإسلاميون يغلطون، فعلي من بعد هؤلاء يعتمد

٧٧- السيرافي، أخبار النحويين البصريين، نشر كرينوا، ص٦٨.
٧٨- النحاس، أعراب القران، ج٢، ص٣٦٢.
٧٩- السيوطي الاقتراح، دار الكتب المصرية، ص ١١٦.

النحاة ؟بماذا يحتجون ؟ ومن أين جاءوا بهذه الأصول التي وضعوها وهذه القواعد التي استنبطوها).

ثم يناقش فكرتها في وجود الفصاحة في كبد الصحراء فقط بعيداً عن ملابسات الحضارة فيقول: (ولو كان مقياس الفصاحة هو الانعزال في كبد الصحراء وعدم الاتصال بالأجانب لكانت لغة قريش ابعد اللغات عن الفصاحة ولا قائل بهذا)([٨٠])

والدكتور المخزومي علي حق في هذه فقريش كانت تسكن مكة وما حولها، وهم أهل تجارة والتجارة تودي إلي الاختلاط، والاختلاط يفسد اللغة علي زعيمهم.فعلام التفريق إذن بين قريش ورفضوا الأخذ عن غيرها ممن وجد في حالة مشابهه لحالتها ([٨١])

ويلاحظ أن علماء اللغة جميعًا في الرواية لم يجيزوا الاعتماد وعلي النص المكتوب، وإنما استندوا أساسا علي المشافهة والتلقي، تلقي العلم من فضل ذلك ومن اقو الهم المشهودة (لا تأخذوا العلم عن صحفي، ولا القران عن صحفي)

وهم بذلك لا يختلفون كثيراً عن المنهج الحديث الذي يعتمد علي الراوي اللغوي، ويعتمد الكلام المنطوق دون المكتوب ([٨٢]) ولكننا نلاحظ عليهم بعد التفصيل الأتي:

١/ عدم استمرار المشافهة طوال فترة الدراسة، مما لجوء بعضهم إلي مشافهات الآخرين يعتمد عليها.

٨٠- مهدي مخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص٧٣،ص٧٧.
٨١- عبد الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرانية، علي تفضيل قريش، ص ٤١.
82 -احمد مختار عمر البحث الغوي عند العرب، ص٥٤.

٢/تكميل الثغرات بالمنطق والقياس لا بمعاودة المشافهة

٣/ اعتقادهم أن اللغة شيء وراثي يتناقله الأبناء عن الآباء وترضعه الأمهات للأطفال.ولهذا سيطرت عليهم ارتباط الفصاحة بالجنس ارتباطاً وثيقاً، وأنكروا علي الفارسي أو اليوناني إمكان إتقان اللغة العربية كما يتقنها أهلها من العرب مهما بذلوا في تعلمها، وثابروا في الميزان عليه، وتلقوها منذ الصغر، ومهما كان حضورهم مبكرا إلي الجزيرة العربية، ولو أجنة في بطون أمهاتهم ومهما كان حفظهم من الثقافة العربية.ولهذا كان اللغويين العرب يرفضون الأخذ عن ابن المقفع لأصله بالفارسي،برغم فصاحة وتلقيه اللغة منذ نعومه أظافره، وفي حين كانوا لا تورعون عن الاستشهاد بكلام الأطفال والمجانيين. وقال السيوطي: قال ابن دريد في أمالية: اخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعي قال: سمعت صبيه بحمي (ضرية)بين البصرة والكوفة). يتراجزون فوقفت وصدوني عن حاجتي، وأقبلت اكتب ما اسمع إذ اقبل شيخ فقال لي: أتكتب كلام هؤلاء الأقزام الادناع)وقال: (وكذلك لم أرهم توقوا أشعار المجانيين من العرب بل رووها واحتجوا بها) ([٨٣])

٤/ خلطهم الشواهد الشعرية بالشواهد النثرية ومحاوله استخلاص قواعد عامة تجمعها مع من المعروف أن للشعر قواعد ونظمه الخاصة التي ينفرد بها علي سائر المصادر الأخرى للغة العربية .

٥/ إنهم لم يكثروا من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف مع انه أهم من الشعر في ميدان البحث اللغوي،لأنه من النثر الذي لا تحكمه ضرورة من

٨٣- في علوم اللغة، تحقيق جاد المولي وآخرون، ص ١٤٠.

وزن أو قافية ولأنه يعطي الباحث اللغوي صورة صحيحة لروح عصره بخلاف الشعر الذي يحتوي علي كثير من الصيغ الفنية والعبارات المتكلفة التي تبعده عن تمثيل الحياة العادية .

٦/ إنهم خلطوا مستويين من اللغة لا يصح الخلط بينهما، وهما مستوي اللغة الأدبية النموذجية الممثلة في القران الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والخطب والأمثال ومستوي اللهجات العامية ألمتمثله في القراءات القرآنية ولغة الخطاب.

٧/ إنهم لم يكونوا موفقين في ربطهم الفصاحة بالبداوة لان اللغة بنت الحاجة والاستعمال والمصطلح المتعارف بين مجموعة من الناس (هي عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم الخاصة)([٨٤]) واللغة لا تنشا في فراغ وان تعبر عن تجارب واحتياجات وثقافات معينه.ولا شك أن تجارب البدوي واحتياجاته تختلف عن تجارب الحضري واحتياجاته،ولذلك ليس من المعقول أن تعني احدي اللغتين عن الأخرى، وليس من الحق أن نعد لغة البدوي ارقي من لغة الحضري برغم أنها لا تفي باحتياجاته.

٨/ أن اعتبارهم باللهجات العربية القديمة كانت ضئيلة فهم أولا ابعدوا جزءا منها من مجال التسجيل اللغوي، وهم ثانياً لم يكونوا حريصين علي تسمية اللهجة، مما تركنا في ظلام دامس حين نريد تتبع الظواهر اللهجة الحديثة ونردها إلي أصلها القديم.وفرق بين أن نسجل اللهجة وننسبها، وبين أن نقيم عليه قاعدة تكون نموذجا لمن يريد أن يحتذي الصواب.

٨٤- ابن جني الخصائص، ص٢٣.

٩/ أن جميع علماء اللغة العربية اهتمامهم قليل عن اللغات السامية كالعبرية والسريانية الأمر الذي جعلهم لم يوفقوا في بيان المعاني الدقيقة التي يؤديها كثير من الكلمات العربية في أصل وضعها، ونشأ عن ذلك أيضا وقوعهم في أغلاط فيما يتعلق بالاشتقاق والتوليد والنحت كما إنهم لم يهتموا بالكلمات المعربة ويرجع إلي عدم إلمامهم التام باللغات الأجنبية.

قائمة المصادر المراجع

١. أبو العلاء المعرى ، رسالة الملائكة، تحقيق سليم الجندي دمشق ١٩٩٤م

٢. ابن الانباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين

٣. ابن الطيب الفاسي، مؤطئه الفصيح، دار الكتب المصرية ١٩٧٩م

٤. ابن الناظم شرح الالفيه

٥. ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القران، القاهرة ١٣٦٠هـ

٦. ابن رشيق القيروانى ، العمدة ،القاهرة ١٣٤٤م

٧. ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٣٢م

٨. ابن ولاد، الانتصار

٩. أبو الفتح عثمان بن جني الخصائص، الجزء الاول

١٠. أبو زيد الأنصاري، نوادر في اللغة، تصحيح وتعليق سعيد

الشرنوبي

١١. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص٢٦

١٢. الأعلم الشنتمري، تحصيل عين الذهب

١٣. الألوس، كتاب الضرائر

١٤. الآمدي، المؤتلف والمختلف، وتحقيق عبد الستار احمد فراج، ط، القاهرة ١٩٦١م.

١٥. البغدادي،خزانه الأدب، ط، بولاق

١٦. الجاحظ البيان والتبين، الجزء الثالث، تحقيق حسن السندوي، ط٢، القاهرة

١٧. الخليل ابن احمد، كتاب العين

١٨. الزمخشري، الكشاف

١٩. السيرافي، أخبار النحويين البصريين، نشر كرينكوا

٢٠. السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، حيدر اباد ١٣١٠هـ

٢١. السيوطي المزهر في علوم اللغة

٢٢. الشواهد والاستشهاد في النحو

٢٣. العيني، المقاصد النحوية، الجزء الأول

٢٤. الفاربي، ديوان الأدب الجزء الأول، تحقيق احمد مختار عمر

٢٥. الفراء، معاني القران الكريم

٢٦. المبرد، الكامل، الجزء الأول، القاهرة ١٣٦٥م.

٢٧. المزرياني، الموشح مأخذ العلماء علي الشعراء

٢٨. المعري رسالة الغفران، تحقيق بنت الشاطي ١٩٥٠م

٢٩. النحاس إعراب القران الكريم

٣٠. تيودور نولدكه، اللغات السامية، ترجمه رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٦٣م

٣١. حسين نصار، المعجم العربي، دار مصر

٣٢. سيد قطب، النقد الأدبي، أصول ومناهجه، ط٧، ١٩٩٣م، دار الشروق

٣٣. شعبان صلاح علاقة النحاة بالقراءات القرآنية

٣٤. شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف.

٣٥. عباس حسن، اللغة والنحويين القديم والحديث القاهرة

٣٦. عبده الرجحي، اللهجات العربية القراءات القرانية

٣٧. عثمان بن قمبر سيبويه، الكتاب

٣٨. علي النجدي ناصف، سيبويه اما النحاة ١٩٥٣م

٣٩. علي بن حمزة البصري، الشبيهات على اغاليط الرواة، عبد العزيزة الميمي القاهرة ١٩٦٧م

٤٠. محمد عبده، الرواية والاستشهاد باللغة

٤١. مقدمه ابن خلدون

٤٢. مهدي المخزمي، مدرسة الكوفة منهجها ودراسة النحو